رِيْبوار سِيْوَيلِي

لغة العشق وزمن الأنفال

(قصيدة)

ترجمة وتقديم : سالار تاوكُوزي

اسم الكتاب: لغة العشق وزمن الأنفال
الكاتب: رِيَبوار سِيْوَيْلِي
ترجمة وتقديم: سالار تاوَكوزي
التصميم: محمد عزيز الطوصلي
طباعة ونشر: دار المنتدى للثقافة والإعلام ٢١
نهج الصديق مقرين شاكر الجمهورية التونسية
الهاتف: ٠٠٢١٦٩٦٢٩٠٩٥٢
الطبعة: الأولى: ٢٠١٧
السعر : ١٠ تونسية أو مايعادلها

Rebwar H. Amin Siwayli
The language of Love and the Time of Anfal

رساله إلى الشعب التونسى

بمناسبة طبع قصيدة (لغة العشق و زمن الأنفال)

بداية لابد أن أقدم جزيل شكري وامتناني إلى أحبائي الرائعين – مرتجم قصيدتي ورسالتي الأستاذ (سالار تاوكوزي) والشاعر التونسي (كمال حمدي) والأديبة (فاطمة بن محمود)– على جهودهم المبذولة من أجل ترجمة وطبع قصيدة (لغة العشق و زمن الأنفال) ونشرها بين دفتي هذا الكتاب، وأشدّ على أيديهم للمتاعب التي تجشموها في هذا السبيل.

ثم أخاطب الشعب التونسي الأبيّ قائلاً: لاشك أن لنشر الطبعة العربية لنص قصيدتي في تونس الخضراء أهمية خاصة؛ لأن البلاد التونسية تحتل مكانة راقية في قلبي وذاكرتي، وفضلاً عن ذلك فقد كانت تلك البلاد قدوة في تاريخ الجمال والتجديد الفكري. وبهذه المناسبة أتذكر أنني كنت – في مرحلة من مراحل حياتي السابقة – أتمنى من صميم قلبي أن تكون لي زوجة تونسية؛ لتعلمني التوازن الروحي والفكري.

وفي الحقيقة، أنني بصفتي شاعراً وكاتباً كوردياً وأستاذاً للفلسفة أكن احتراماً كثيراً للمفكرين التوانسة الذين صنعوا تاريخاً من العطاء وقبول الآخر في وطنهم، على نحو يحظى الآخر المختلف بالاحترام ولايشعر بالتهميش.

وكذلك أكن كامل احترامي لهؤلاء الذين لايفرضون تراثهم الديني على أي شخص في تونسنا الجميلة، تونس الكل.

أنا أعرف جيداً، أن السياسة التي تباعد بين الشعوب سياسة شوفينية، وأعتقد أن لغة الشعر هي لغة التفاهم بين شعوب العالم؛ ولهذا أتمنى أن تمهّد قصيدتي أرضية ملائمة للعمل الإنساني المشترك والعمل على إحياء قيم التصالح والجمال بيننا وبين اصدقائنا العرب عموماً وأصدقائنا التوانسة على نحو خاصوآمل أن تجدوا في القصيدة ما يكفي من القوة التعبيرية والايحائية لاجتياز الحدود السياسة.

صديقكم

ريبوار سِيْوَيْلِي

٢٠١٧ /٤/١٥

إهداء

إلـــــى :

- **أرواح المؤنفلين.**

- **الدكتورة (جنار سعد) تقديراً لجهودها المبذولة لخدمة قضية الأنفال.**

- **قرَّتَي عيني (فاميار وشاليار) .**

سالار

مقدمة المترجم

أبهرتني قصيدة (لغة العشق وزمن الأنفال) للشاعر والكاتب الكوردي الكبير (ريبوار سيويلي)[١]عندما اطلعت عليها قبل سبع سنوات، وجدتها– من وجهة نظري– من أروع القصائد الكوردية من الناحيتين: الموضوعية والفنية، لذلك أتصور أنها تبقى خالدة في تاريخ الأدب الكوردي وفي ذاكرة الذين سوف يطّلعون عليها لاسيما الطيف المثقف منهم.

يعالج الشاعر في القصيدة فاجعة (الأنفال)[٢]التي تعد إحدى أكبر الفواجع المؤلمة في تاريخ الشعب الكوردي المضطهد على أيدي السلطات العراقية المتعاقبة. والشاعر في هذه القصيدة يسرد لنا(بجانب تجربته الذاتية البحتة) تراجيديا إنسانية ونفسية بلغة شعرية فائقة، وفي هذه الأثناء يحاول خلق صراع بين ثنائيات متناقضة ومتكاملة مثل: (النكسة والنهوض، التشاؤم والتفاؤل، الروح والجسد، الذات والموضوع) وغيرها من الثنائيات والموضوعات المتعلقة بالطبيعة والهوية والتاريخ والجوانب الإنسانية والسياسية والاجتماعية والنفسية التي تحتاج إلى دراسة عميقة لكشف معانيها وإيحاءاتها ودلالاتها المتشاعبة.

وإضافة إلى ذلك يستلهم الشاعر كثيراً من معانيه ودلالاته من العرفان الشرقي والفلسفة الغربية ولاسيما الفلسفة الظاهراتية لدى (ميرلوبونتي)[٣] التي كان الشاعر تحت تأثيرها في زمن كتابة نصه الإبداعي، ونلمس في القصيدة أيضاً أنه يخوض حرباً مع اللغة والخيال والعقل والخرافة والآلهة والموت من أجل نُصرة الإنسان – وبالأخص الإنسان الكوردي – ونهوضه من جديد كي لا تجبره النكسة على الخضوع لنوائب الدهر، وتمتد تلك الحرب – زمنيا – من الأزل إلى الأبد.

كان هناك دافعان قويان وراء ترجمتي لقصيدة (لغة العشق زمن الأنفال) إلى العربية: الدافع الأول، يتمثل في أنني أرى أنه من الضروري جداً أن ننقل ما كُتب شعراً ونثراً عن أحداث عمليات الأنفال سيئة الصيتإلى العالم العربي الذي لم يتوان إعلامه عن تعتيمها وتشويهها في حينها. أما الدافع الثاني فيتمثل في شدة إعجابي بجماليات نص القصيدة التي شهد لها من جنى ثمار دهشتها وجمالياتها في لغتها الأصلية.

وقد بذلت في ترجمتي قصارى جهدي لكي يتذوق القارئ العربي جماليات النص على أتم وجه، وحاولت أن أحافظعلى لغتها الشعرية، آملا أن ينال عملي إعجاب القراء بعد نشره كما نال إعجاب صاحب النص.

والجدير بالذكر أنني لم اكتف بترجمة النص فقط، بل فضلّت توضيح عدد من الكلمات والجمل والعبارات الواردة فيه، وفي ذلك ركنت إلى مخزون معلوماتي وبعض المصادر وتوضيحات الشاعر أثناء مراجعتنا للنص المترجم ومقارنته بالنص الأصلي، وكذلك أفادتني هوامش الترجمة الفارسية للقصيدة التي قام بها الدكتور (جمال النقشبندي) فله مني جزيل الشكر.

وأخيراً لم يبق لي إلا أن أقدم شكري الخاص للصديق الفاضل ريبوار سيويلي – صاحب النص– الذي استقبلني بحفاوة عندما فاجأته بخبر شروعي في ترجمة قصيدته وكذلك أشكر الأديبة التونسية (فاطمة بن محمود) والشاعر التونسي (كمال حمدي) ومدير عام الثقافة في السليمانية (بابَكر درَيي) على جهودهم من أجل طبع القصيدة/الديوان.

المترجم

سالار تاوكوزي

١١/ ٩/ ٢٠١٤

لغه العشق وزمن الأنفال

" من باب القصيدة

إلى مدخل جهنم،

 يتقاطر الدم مني ...

 فأنا جريح، من أزلي إلى العدم"

 أيها الحرف... احفر لي قبراً بمساحة العرش

فأنا – رغم كل انكساراتي – أكبر من أكثر السماوات عطاءً

 وأنا بهذا الطيران أوحد من طائر القوق

 لا تسألني من أنا ؟، فلقد محت الأنفال تاريخي

لا تسألني من أنا ؟، فلقد سرقتني الأنفال من نفسي

 أنا موجود في الآن، ربما أكون موجوداً في الآن

ربما أتكلم وأستمر في الآن

 وربما أبدأ من جديد في الآن ...

 ما سوى نفسي

 لا أظن أن هناك أرضاً كي أعيش فيها وأموت.

 أحلم بالبدء من جديد

 وأنتِ تختلطين بمواسم أحلامي:

 (نأخذ بيتزا لنأكلها تحت شجرة ما،

 أقضمها بهدوء

 أعرف أنكِ تأتين معي رويداً... رويداً

 ولقمة بعد لقمة...

 ففي النهاية نأكل اللقمة الأخيرة معاً،

 اللقمة مليئة بالرحيق والماء،

 مليئة بمذاق القبلة

 توصل اللقمة شفتي بشفتيك ولا توصلهما، فيأكل بعضنا بعضا

 نشعر بأننا نشفي غليل بعضنا حيناً

 ولانستطيع فعل ذلك حيناً آخر.

نركب الدراجة

 ونرجع عبر ممشى الغابة إلى جدول الماء،

 نرى في عودتنا امرأتين عجوزين وكلبيهما،

 يمر قطار

 نجد عند التل ملجأً

 فنفرش بساطاً

 ونسترخي حتى نصل إلى تخوم الطمع

  نسترخي حتى نصل إلى تخوم المتعة !

  نسترخي حتى نصل إلى تخوم النوم..)

 أنا أحلم:

 (للبدء من جديد،

 يكفيني التفكير في موسيقى،

 أو أغنية بسيطة يصيح فيها المغني في بقاع الدنيا:

 (اتركوني يا أحبتي..) ولكن

 لايصل صوته إلى أي مكان...

 للبدء من جديد،

 يكفيني التفكير في لمحة عين أو لمعة متوهجة

 أو عينين ناعستين تطلبان – بأقصى الصمت – مني جرعة ماء في منتصف ليل.

 للبدء من جديد

 يكفينا التفكير في عطر جلدنا تحت رطوبة لحاف ..

 بكفينا التفكير في سعادة والدين بسيطين،

إذ رأيا رونق حياتهما ووحدتهما

 في كوننا معا

 فعاد بهما الزمن إلى مرحلة الفتوة عشرين عاما.

يركض طفل نحو حضني فينفث في أذني سحراً:

 (اسكت! كي أقص عليك حكاية!)

 تكفي هذه الحكاية لتبدأ من جديد.

نزلت حمامة أمام فِناءِ منزلنا

 تدخل رأسها تحت جناحيها،

 الدفء الموجود تحت جناحيّ تلك الحمامة

 يكفي للبدء من جديد.

 اشتعلت حرب، تنوي بناء عش بيننا

لكنها مؤرقة لا تستطيع النوم خوفاً من عصفورة بسمة

 فطيران تلك البسمة يكفي لعودة السلام.

 أنا حائر في أمر الضفدع

 فقد تعلم القفز والنقيق في بطن أمه،

 الجدي يتعلم المشي بُعَيْدَ الولادة

 وما أروع جمال التمساح في الصغر!

 التفكير في حِكمة الضفدع

 وتحريك ذيل الجدي

 وطفولة التمساح

 يكفي للبدء من جديد.

أعرف، لو قلت لشجرة ما:

اعطيني ورقاً،

تقهقه ضاحكة فتقول:

(لابأس... خذ أحد أغصاني).

التفكير في جواب الشجرة،

يكفي لننبت من جديد.

ليس هناك أصم لايسمع صوت البسطال

القوقعة ثملة بسماع نبضات قدم المطر الناعمة

عند الانسحاق.

الثمل من عشق المطر

يكفي للبدء من جديد.

ياصاحي أنت لاتدري، أن صدر النمل

ملئ بآية الكرسي ؟.

ولاتدري أن النحل عندما يلدغنا ويموت

يظن أن إصبعنا برعم آخر ؟.

نحن لاندري أن منقار الغراب ملئ بالنكات الطريفة

وأن الحية تتقن تلاوة القرآن أكثر من مِئة (مُلاًّ)[٤]

وأن القنفذ أكثر شكاً من ديكارت ؟

نحن لم نعط للبعوضة قطرة دم

ولكن يندمل جرح هذه الحرب بدمائنا !.

نحن لم نصغ إلى أدعية النسيم، فقلنا:

بئست العواصف هذه العاصفة.

الثلج هو سقوط أمنيات الفصول ببندقية السفر،

قلنا:

إن هذا الصيف ليس إلا شتاءً قارصاً مليئاً بالبلوى.

نحن لم نصغ يوماً إلى حزن الفراشة الملوّن

فقلنا:

ما أروع جنون الفراشة لعشق عديمِ الجدوى.

في حلم أم أربعة وأربعين للوصول إلى ألف مكان

التزم كتاب تعبيرنا بالصمت

لم أعرف أن الحيرة سمّ قاتل لهذا الكتاب.

ربما كان الحجر مخدة رحالة العشق في يوم ما،

شواهد قبور هؤلاء الشهداء

ليست سوى روح ذلك الحجر البائسة.

لكي أفهم صعوبة التهشم

عليّ التفكير في شفافية الزجاج

ولكي أفهم من نص نسيج هذه الحلكة

علي التفكير في أن أكون جاراً للعنكبوت.

من الذي قال:" إن السقوط نهاية الغصن في العالم الأخضر ؟!".

فماذا يقول عن الأغصان التي تحمل مئات البراعم غير المتفتحة ؟.

نحن قد شربنا الماء الزلال والصافي

ولكن كيف تلمع حراشف السمك في مياه تلك الأنهار العكرة ؟!

لكي أبدأ من جديد

أتعهد أن أكون زلالاً مثل آهاتي كلها

أتعهد أن أكون زلالاً

لحين وصولي إلى منزل الحبيبة.

للبدء من جديد يكفي

(أن تكون زلالاً حتى تصل إلى ماء شِيْوَسُور) [٥].

ولاننسى،علينا أن نكنّ الاحترام لعطر (منغو) الأزرق

وقوة (الأفوكادو) التي تحتاج إلى الليمون ليكون لها طعم أطيب.

وإلا فلن نقدر على البدء من جديد.

علينا أن لاننسى أسرار تلك الحلوى التي

لاتملأ عشر منها كيسا واحداً

ولكن خبأت كل واحدة منها تمرة بداخلها !.

وعلينا أن لاننسى تلك الأماسي التي

كانت الشمس فيها تأتينا من بعيد

وتضع رأسها على جلودنا.

البدء من جديد

قراءة شعر جديد وقصة جديدة

لبعضنا بعضا

كي نطير مع ألحان تعابير أولاهما

ونجهش بالبكاء على بطل الثانية.

البدء من جديد،

هو إرادة تلك النوارس التي

اتخذت السماء وطناً لنفسها

وهو شبابيك تلك المنازل المهملة المليئة بورد الصباح

البدءمن جديد

لفة محشوة بالخضراوات

إذوضعت على مائدة مستطيلة في منتصف الليالي

وهي تُطوى أخيراً " كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ "

بعد رؤيتها للقبلات الطرية!.

لعل البدء من جديد

شراء فستان طويل أخضر

يفتخر بقامة نحيفة

وتتقاطرالرحمة من أسفله بهدوء.

البدء من جديد

انتظار وصول الحب من الدانمارك

على متن طائرة كسولة ومتعبة

لعلها لا تهبط

حباً للتحليق في السماء.

والبدء من جديد

حمل كيس من النوم على الكتف

وخيمة مثقوبة خجولة

تحت رذاذ المطر..

والبدء من جديد..

أول قبلة علنية بين الناس في خلسة من (العيب)

وهو العودة مرة أخرى إلى فندق أقمنا فيه ليلة لقائنا الأول

كي ننام على الوسادة نفسها فنمارس الجنس معاً.

البدء من جديد

تفكير في:

رِجلين هزيلتين

وأنف نحيف.

وتبادل أطراف الحديث بين زوج وزوجته !

والبدء من جديد

دعاء وتضرع – غير مجديين – إلى الله

عند ممارسة الجِماع ..

لعل البدء من جديد

تفكير في طفل مشترك

عندما نضحك متسائلين

ياترى بمن سيشبه نصفه،

وبأي منا يشبه نصفه الآخر ؟

للبدء من جديد

يكفينا التفكير في ضحكة (هيوا قادر) [٦]

وخجل (آرام ابن كاكَي فلاح) [٧]

والضجر الموجود في (مرايا الدم) لـ(هَندرِين) [٨]

للبدء من جديد

يكفينا أن نقول لـ(كاروان كاكَسوور)[٩]

إهدأ ياصديقي ،

لكي لا تشوش العجلة أفكارك !.

يكفينا أن نقول للسيدة (سعدية)

اليوم، نأكل (ترخِينة)[١٠]

فهذا الكلام، يدخل في نفسها سعادة

بحجم الكرة الأرضية !

يكفي أن نغني لحن أغنية قديمة لـ(هَردي)[١١]

بين ممرّ غرفتين.

كي يقف قليلا فيقول:

" أخي العزيز، ليس أصل اللحن هكذا".

ربما البدء من جديد

هو ذلك الطريق الذي

يعيدنا إلى نزاهة (ميتي)[١٢].

أو هو شيطنة السيدة (نيشا)[١٣]!.

وربما البدء من جديد

هو العثور على نظارة (رِيبين) [١٤] في إناء شوربة الحساء

أو هو تخليط اللبن مع المحلّبي

لنتناولهما في وجبة الفطور .

ربما البدء من جديد

قطرات دموع (آريان) المتسلسلة

أو هو الورود الملصقة برسائل (بَروين)

ونهوض (تارا)

أو هو تعافي (سروَة)[١٥] من السرطان.

وربما البدء من جديد

هو ذبذبات أحاديث (شَمال)[١٦] الدافئة

التي تجبرنا على الإصغاء إليها ببرود.

وليس بمستبعد أن يكون البدء من جديد

لوحة جديدة في رأس (رِيبوار سعيد) [١٧]

بعد ذهاب لونها...

وليس بمستبعد أن يكون البدء من جديد

فتح غطاء قارورة زجاجية مليئة بالـعنبة

وقد يكون عبارة عن شم رائحة الشكولاتة قبل قضمها

وقد يكون البدء من جديد

عبارة عن غسل الأسنان بفرشاة واحدة.

وقد يكون البدء من جديد

احتضانك أمام المرآة

ومتعة النوم قرب جوربيك المتروكين،

أو:

بقايا حرارة يدي في القفازات.

لعل البدء من جديد

قريب إلى حد

يجيبنا لحظة تفكيرنا في ندائه.

ها أنا أسجد أمام قدميك

في هذا الصباح الباكر

فاشربي أنت هذا القدح من العصير الأصفر

كي تشرق الشمس من جديد !

البدء من جديد

وضع شعلة مائلة إلى الأزرق

على منضدة زجاجية.

وقرقعة دافئة للمفتاح

عند فتح الباب في يوم ممطر.

ورائحة محلبـي مطعم بالهيل تفوح من الطابق الثالث عشر لمنزل بكوبنهاغن.

ورحابة صدر مواطن كوردي باسم (عزيز)

وغضب أبيض لـ(آراسة رَش)

بعد خسارته للعبة الكونكان

للمرة الحادية عشرة.

والبدء من جديد

سفر (ساكار) لأخذ الحق

أو هو عين (نَوْروز)[١٨] إذ ترى

انفتاح براعم النرجس في عيني

أو هو تخريب امبراطورية

(أنا على الحق)

أو هو صوت صلاة المحادثة

إذ يعلو من منارة التسامح.

والبدء من جديد قلق بين:

جمال العنب الأسود ومذاق عناقيده.

وبكاء على أفراخ الدجاج ونسيان النقيق

وقصة لقاء حار

على شارع (سَهولَكة)[١٩]

وقهقهة حزن ملئ بالأحداث لـ(شِيرو)[٢٠]

على تفاهة الزمن!.

وهو سفر إلى ستوكهولم

ورجفة في حضنك داخل

قطار

متغنج

طويل.

أعرف جيداً لولاك،

لما تذوقت رائحة الشوكولاتة

من المعلوم، كان علي

أن التف حولك

إلى أن أصبح لبلاباً

كان من المفروض

أن تأخذ شفتاي رائحة التفاح

نتيجة تقبيلي لفمك.

البدء من جديد

تردد بين اختيارين :

قرط أزرق أم قرط متدل.

وآخر نظر للمرآة

كي تتأكدي من سحر جمال حمرة شفتيك

أو هو رش العطر على الرقبة الناعمة

وتكرار السؤال التالي مئات المرات قبل النوم:

– أتحبني ؟ .

والبدء من جديد

سلام مواطن دانماركي سكران،

إذ يقول:

– آه. كم أنت جميلة !

فتردين قائلة:

شكراً.

البدء من جديد

هو أن تملأ حضنك من أوراق الشجر

احتراماً لجمال حصان وحيد..

وجولة مسائية

عند وضع أسئلة

لأحد الفلاسفة.

□

□وهو أيضا حلم سفر لإحياء حفل عيد رأس السنة،

□واللقاء بـ(مَريوان)[٢١] مرة أخرى

□أمام شجرة المشنقة.

□وعراك على املاء كلمة كوردية،

□ومتعة قراءة رواية فارسية بلكنة كوردية

□مع ارتكاب أخطاء لغوية.

□البدء من جديد

□تحدث عن أفلام (عبدالحليم) [٢٢]

□عندما تأخذنا الحيرة

□ونحن نشاهد فيلم (خولة جَخْماخ)[٢٣].

□

□كلا، ربما البدء من جديد

□ليس كل هذه الأشياء

□بل هو قطع سلك التلفون

كي نعتذر للمتصلين فيما بعد فنكذب عليهم ونقول:

" اعذرونا، لم نكن موجودين في المنزل".

أنهض من جديد فأجد حنجرتي مليئة بالنخامة

أنفاسي صارت دخاناً

أنهض من جديد

وأغسل وجهي بالماء

ولا أجرؤ أن أقول للمرآة

صباح الخير !

لايمكنني تناول وجبة الفطور وحيداً،

لو لم يُشرب هذا العصير

لتخثر في الوحدة .

أنت أخذت الرقصات

وتركت الموسيقى

أخذت الأحضان

وتركت يدي .

أخذت الوجه

وتركت المرايا

أخذت الدفء

وتركت الملابس

أخذت الماضي

وتركت رائحة العطور.

أخذت العَروسة

وتركت الفساتين.

أخذت الأذن

وتركت الأقراط

أخذت النظرة وتركت الشبابيك.

أخذت الأنامل وتركت الحلقات

أخذت الضحكات وتركت النكات

أخذت الكلمات وتركت الرسائل.

أخذت القصص وتركت الأبطال

أخذت الأسرار وتركت الحكايات.

أخذت النوايا وتركت الآمال.

أخذت روحي وتركت جسدي.

أخذت النهايات

وتركت البدايات .

أخذت المستقبل

وتركت الآن !

أنا لن أدخل في المستقبل..

أتوقف في أكتوبر !

في الآن..

أتوقف في نهاية هذا العصر

ولن أدخل سنة الألفين.

سنة الألفين،

ليست أحلى من التسعينات

سنة الألفين،

ليست أرحم من الأيام التي قضيناها على ضفاف الأنهار،

ليست أحلى من جولاتنا في كوبنهاغن،

ولا من ابتساماتنا في أوكسفورد

ولا من رحلاتنا بين المدن

على دراجة صدئة..

سنسمع في سنة الألفين

خبر موت ممثل آخر جوعاً

سنة الألفين

تفاهة أخرى في وجه الزمن

وحرب أخرى في كوسوفو

وفتح أبواب زنزانة أخرى في أنقرة

وظلم آخر في الشيشان..

سنة الألفين

خبر احتدام آخر بين الإخوان

على تل مقفر !

وهلهلة مدينة أخرى على موت حي من أحيائها

ونكتة ترفرف علم دولتين

على شبر من أرض جريح.

سنة الألفين

مسابقة بين وزيرين لاستقبال خادم بسيط

ولقاء بصديق قديم

درس الفلسفة

ثم، أصبح شرطياً.

وضرب مدينة سُنية نفسها

حداداً على رحيل إمام من أئمة الشيعة

وطعن ظهر التجربة بالخنجر مرة أخرى،

وطريق آخر إلى الوحدة،

وانتظار آخر أمام اليأس

وأنفال أخرى في .....

في المستقبل.

في كل عصر من العصور

وفي كل دورة من دورات الحياة

تتأنفل الروح مرة واحدة..

مرة واحدة..

أتوقف في أكتوبر

وأرجع إلى الطفولة،

أرجع لأقف أمام قطرات دموع أمي

أمام تديّن أبي بالإسلام

الذي لم يكن يفرّق بين القرآن وديوانِ (مَحوي)[٢٤] .

أرجع إلى أيام الخوف من معلمي في المدرسة

عسى أن التقي بأصدقائي

الذين اُستُشهِدَ بعضهم

وألقي القبض على بعضهم الآخر

عند ممارسة الغش في الامتحان !

أرجع لكي أتنعم برحمة أختي

أعود الى بدايات الوصول إلى سن البلوغ،

إلى اللعب في التراب،

إلى ركوب الحمار وصداقة الكلب

أعود إلى غرفة علم الأحياء،

إلى وحدة حية

إذ اتخذ لون (سادات أهل البيت)

في قارورة بلورية مليئة بالكحول !

أرجع لأقف أمام تهديدات حارس مدرستنا.

إلى خرطوم المياه

الذي كانوا يضربونني به صباح الأيام الشتوية الباردة

ليعلموني تنظيف حذائي قبل الدخول إلى قاعة الدرس.

استرجع إلى الغرفة المظلمة

إلى جزء (عَمَّ)،

إلى سورة (إقرأ) ..

لن أدخل في سنة الألفين،

أنا سوف لن أدخل في سنة الألفين

لا أنا ولا أبناء جيلي

لن ندخل في سنة الألفين:

فاللعنة من الوراء تلاحقنا

وقلوبنا مليئة بالعشق،

والوقوف ورائنا

ورؤوسنا مليئة بالتغيير..

نحن أكثر أجيال الخيال خصاماً

وأكثر أجيال الحلم إخاءً

وأكثر الأجيال عداوةً للتوافق

وأجمل الأجيال في الاختلاف.

لقد كنا إخوانا في النكسة

مثلما كنا مشردين في الشعر.

أشلعنا حروباً عدة في الكتب

ولكننا لم نشارك في أية حرب داخلية !

لقد كان البكاء على الكلمات،

حكمتنا الوحيدة.

وكان الحضور في التشرد سحرنا الوحيد.

كان الفقر والدنا عند تقسيم الميراث..

(هناك خلف رؤوسنا بحر من الجهل، وأمامنا فرقة من الضلال)

وهناك خلف رؤوسنا غابة من التماثيل،

وفي مستقبلنا سراب من التاريخ .

نحن نبقى في (الآن)،

في كورديتنا

نجعل الآن منزلاً لأنفسنا،

الآن، هو خطيبتنا الأبدية،

الآن، هو حكايتنا التي لم تنته بعد.

عشنا في الآن حتى قُتِل إخواننا،

ولم يبق من بعد والدنا سوى قبر واحد.

شاخت أخواتنا

ثم، تزوجن من السرطان.

نحن أحببنا زوجاتنا حتى

نطقت ألسنتهن فغنينا معهن،

وقد سمعنا رجع صداهن.

وذرفنا الدموع أمام أرجلهن الصغيرة ساجدين

حتى اخضرت

وبدأن بالذهاب حباً

ثم نهضن أخيراً

فاتبعن رجع صداهن

حتى حلقن

فرفرفن بأجنحتهن

وطرن،

طرن من بين أحضاننا نحو متعة الاستقلال،

نحو مهجر الضياع:

وبعضهن

وجدن أنفسهن في عالم الأرامل الصحراوي.

ووقع بعضهن في غليان الدهون في المطابخ

فقلن: هذه هي السعادة !.

وجلس بعضهن في مقعد عربة أمامي

فألقين التحية علينا

وكنا نعلم أن العربة ستنقلب.

وعرضن لنا من نوافذ المطابخ

أساورهن الذهبية

فكادت أرواحنا تتحطم أَلَماً.

ووقع بعضهن في أحضان رجال سكارى في الليالي المتأخرة

وفسرن الشخير والهذيان لهم لحين حلول الصباح.

وبعضهن في أنقرة،

عمّان، باريس وأمستردام

غيرن أسمائهن،

وصبغن شعرهن بالأشقر..

وبعضهن انتحرن

فبكينا عليهن

ورأينا عدداً منهن في الحفلات

حيث كن يرقصن في صفوف

(جَمَداني، جَبـي، سِيبابي وشِيخاني)[٢٥]

وبعضهن

ملأن فناء المنزل بالأطفال

وهدمن منزلا بالذهب،

وبعضهن

طرن نحو سراب الفيمينيزم،

إلى أن وصلن لمرحلة ما بعد الحداثة،

إلى أن وصلن إلى جنة (ديزني)،

إلى أن وصلن إلى موسيقى البوب

وأصبحن سحاقيات.

ذهبن نحو ظلمة الكابوس

فتخلينا عنهن...

آثرت زوجاتنا الكابوس

على الحياة معنا،

هن فضلن تسلقنا على أجسادهن في الليالي

كالمتطفلين والتنانين وخلية من النمل المجنح

لِئلا يبقين معنا بعد.

هؤلاء كنَّ يستيقظنَ من النوم متألمات

فلم يكن هناك أحد يعانقهن

هؤلاء كن يرتعشن برداً

فلم يكن هناك أحد يستر أجسادهن بالملاءات من جديد

وكنّ –كل صباح – يسردن أحلامهن لأنفسهن أمام المرآة

ولم يكن لديهن أي تفسير لها.

هؤلاء رحلن

فبتن أمهات لنا – عن بعد

وددلنَنا – عن بعد

وأصبحن أطباء – عن بعد

فقدمن لنا نصائحهن قائلات:

(عليكم أن تفهموا، لقد انتهى كل شيء.

إنتهى العشق.. فكلهم هكذا فعلوا،

ستنسون تلك الأشياء كلها

في أقرب وقت ممكن) ! .

هؤلاء يرحلن حاملات صناديق (جهاز العروس) و(جَمَداني)[٢٦]

الملئ بالحديد والألمنيوم والفضة

يرحلن.. وقاماتهن

منحنية تحت أثقال القلادات والأقراط والخزامات

يرحلن دونما تاريخ، دونما حكاية

ويتبعن في غرف الوهم سراب المستقبل ..

وأما نحن فقد توقفنا بنعومة مشاعرنا هذه

في هذه اللحظة من شهر أكتوبر،

توقفنا في نهاية التسعينات .

نحن أُبتلينا بكورديتنا

فجاءت الأنفال والحلبجة والهجرة الجماعية والوحدة..

الوحدة بالنسبة لنا هي الآن.

الوحدة هي جمالنا.

الوحدة هي كسر خواطرنا في شوارع المهجر

الوحدة هي سمنا العزيز في دمائنا.

وأنت يا حبيبتي يا شهرزاد

إلي أين طرتِ.. ؟.

فقد أُنفِلتُ في أكتوبر،

فلم تلب السجدات نداءاتي..

وقد اُحترقت قرى روحي في أكتوبر

ورُحِّلت طفولتي

فلم ينزل مطر عليَّ ليخمد شياط هذا الحريق.

في عيد نهاية السنة

كان يمر أمامي

بريق الطلقات الطائشة

ولكن الأنفال أطفأته بنفخة.

أنا قد كنت ثملاً في حضن ناعم

ولكن ألقتني الأنفال في رغوة البحر..

جاء أكتوبر، ثم وضع مصيري بين يدي الخريف

فانتقم الخريف مني،

وقال لي على إيقاع صوت عريف للجيش

وبصوت شبيه بصوت أمي:

(اسقط مثل أوراق الشجر !)

قلت:

(لاتوجد أرض كي أسقط عليها !)

ثم، صاح في وجهي :

ـ اذهب مع الريح !.

(ستموت نهاية هذه القصة كمداً

لأنها تنتظر مجيئي

فأنا لن آتي.

ــ لا نهاية لهذه القصة، بل لها البدء من جديد

فعليك أن تبدأ جديد

وستنسى كل شئ}.

أرأيت عودة مؤنفل إلى الحياة ؟

أرأيت روحاً نبتت من جديد

بعد اخلائها من الأشجار والماء والنفس والروح ؟

أرأيت قلبا مفطوراً نسى انفطاره ؟!

كلا..

**

بجسد محروق، وروح متعبة...

أقف في الآن،

في هذه اللحظة

وفي هذه الجزيرة.

أقف مع الزواحف المجمدة تحت الثلج

فأضم أوراق أسئلة أكتوبر الصفراء

وعند جذور عشب، أضع رأسي على جسد حيَّة ملتفة على نفسها

وفي ضفاف بحيرة، أحدق النظر في ضفدع

أستمع إلى الأنفاس الهادئة لسلحفاة ذات تجارب دنيوية.

أتأمل في حكمة دودة نحيفة

أستنطق مرارة فاكهة عذبة.

وفي ظل رمان طازج

أقرأ سورة (يوسف) الملطخة بالدم

أضع مرآة أمام خنفس فأقول له:

ما أروعك ؟!

أقول لبعوضة:

دمي مستباح لك !

وأقول للجراد:

لاتحزن، فإنني أنبهك

إذا سأل عنك منقار.

أعدد خياشيم فُطرٍ وخيالات عيني بوم

أقول للجندب :

يا صاحي، انزل لحظة من ظهر ساق ذلك العشب

لأدلك لك رجليك.

أقول لسطل: قل الحقيقة :

تحب أن تمتلئ من وجه النساء، أم من بياض الحليب ؟!

أنهل من شفة كأس وأنظر إلى بحر نظراته

أقول للخابية :

كم أنت عميقة وباردة ووحيدة !

في زاوية من حوش منزل

أقول لوردة حملتها الرياح إليها :

قسما بألوانك، مستقبلك ملئ بالحدائق !

أقول للسبورة :

لاتحزني عندما لايكون الطباشير وفـيّا

قارني نفسك

بالجدران التي أصابها وابل من الطلقات خلف الشبابيك

فابتهجي بطيران الحروف.

ألوذ بالينبوع فأقول للماء :

خذني حتى يظل الذهاب ممكناً..

خذني في داخل الألوان إلى الذروة،

خذني – بجانب الأحجار – حتى أصل إلى حيث يوجد الطحلب

خذني.. فأنا أريد أن أكبر على إيقاع خرير الماء

خذني حتى أصبح رذاذاً في حضن شلال من جديد،

خذني حتى تطهر نفسي مرة أخرى في أبدية التبلل،

خذني حتى أصل إلى المكان الذي تمطر سماؤها السحيقة

إلى أن أصل إلى الربوة التي أصابها وابل

لأقول للفيضان ارجعني إلى مجراك من جديد !

فالذي يرجع من الأنفال

يصبح سمكاً في الفيضانات..

والذي يتواجد الآن في هذه غرفة:

تفتح النكبة حضنها له..

**

أيا شهرزاد الساكنة في دمائي،

بلغت فجأة نهاية هذه القصة حداً

لم تحس بها التيارات.

ما الذي يخفى عليك ؟

لو علمت عروقي بهذا الخبر، لانفصمت...

لو علمت أنفاسي بضيق نفسي الآن، لاختنقت.

لم يحدث قط أن اقتربت روحي من جسدي إلى هذا الحد

ولم يشعر جسدي بالبرد إلى هذا الحد..

منذ اثنتي عشرة سنة

لم أعرف يوماً مثلما أعرف اليوم

أني أعيش في مهجر الجليد لاجئاً في مخيم دون استجواب

لم أكن مثل الآن مواطناً لحضارة لاتملك قلباً،

حضارة مليئة الأنفاس بسموم العنصرية

ومليئة بالنظرات وبابتسامات مكثفة شبيهة برحيق حية بتراء في السهول

.....

صدقيني يا شهرزاد.. صدقيني..

للبدء من جديد،

علي الاستماع إلى أنات الصبر

للبدء من جديد،

لابد أن أدهن نفسي بأحزان الجدران

يجب علي الآن

أن أركض إلى أن أصل حداً أشعر فيه بذوبان الخيال،

إلى أن تتساقط الأمنية،

يجب علي الذهاب حتى.. تنطفئ البسمة.

لابد أن أفقد الوعي في سعة الكلمة

حتى تذوب الذكريات على نفسها،

حتى أصل إلى حدود التعرق

حتى أصل إلى إقليم الحمى

حتى أتجشأ وأتقيأ.

يجب أن أفقد الوعي وألتف حولي

وأتعرى حتى يطل الشفاء.

*** * ***

يا شهرزاد ذكرياتي،

سمعاً و طاعةً

أنا أتفهم نهاية هذه القصة،

سمعاً و طاعةً..

فلا تحزني من الآن،

ها أنا أكاد أبيع كتبـي بالمزاد

سأقول للأحرف :

إنتهى

(إنتهى العشق،

ستنسى كل شيء في أقرب وقت ممكن..)

وها أنا أكاد أقول للساعة :

إنتهى

سأقول للتلفون والرسائل :

إنتهى

سأقول للشوارع والورد الجوري والدراجة والغابة والأسواق:

إنتهى

سأقول للقطار والسينما والمتاحف والمطاعم :

إنتهى

سأقول للقميص والبنطلون والعطور:

إنتهى

سأقول للسُّفْرة والأقداح و الفواكه والشوكولاتة

إنتهى

إنتهى

وسأقول لرفوف خزانة المطبخ وجواز السفر والبطاقات:

إنتهى

أيا مقراضي ومقصي وإبرتي وخيوطي:

إنتهى

أيا زاد سفري وكيس نومي وخيامي ومخداتي:

إنتهى

سأقول للبداية: إنتهى

سأقول للسفر: إنتهى..

أيا شهرزاد..

لم يبق لي سوى جسدي

فاصبري عليَّ حتى أقول للجسد: إنتهى

يجب أن أستأصل الحروف من جسدي واحداً تلو الآخر

فأقول: إنتهى

في أعماق نومي، لابد أن أقول للأحلام :

إنتهى

فاصبري عليَّ

حتى أنزع اسمك من لساني فأقول له:

إنتهى

حتى أسرق القبلات من شفتيَّ خلسة

فأقول: إنتهى

حتى آخذ العناق من حضني

فأقول: إنتهى

حتى أدرّب الأنامل على السكوت

فأقول: إنتهى

قد يصعب عليَّ أن أقول لعينَي:

انتهى، لأنها تنفتح.

قد يكون جريمة أن أشتت خيالي بهذا الخبر

قد يكون تكليفاً

أن أبوح بهذه النهاية عند إدراكي..

اصبري عليَّ شهرزاد:

لكي يحضر الوعي أمام المقابر الجماعية

أحتاج إلى الوقت.

انفصال الإدراك عن جسد ملئ بالعشق

يحتاج إلى الوقت.

الإدراك ملئ بالجسد

والجسد ثمل بدم العشق

الإدراك في الجسد والجسد ملئ بالوعي..

والوعي ملئ بالإحساس

والوعي ملئ بتكرار الخواطر والذكريات..

أيا شهرزاد الموجودة في روحي !

أحتاج إلى الوقت لهذا الأمر

أحتاج إلى الوقت لمخالفة ذكريات الجسد.

أحتاج إلى الوقت لنسيان رائحتك على جسدي

ومخدة هذا السفر

والشراشف والمنشفة وملابسي الليلية.

احتاج إلى الوقت للانقلاب على أوامر وأسئلة التأقلم مع صقيع هذه الوحدة.

أحتاج إلى الوقت للخروج منك والاختلاط بالدنيا من جديد .

لاستعادة السيطرة على الذات في تيّار هذا القذف السريع

أحتاج إلى الوقت.

أحتاج إلى الوقت للحفاظ على التوازن بين أوامرك

وانتظاراتي.

أحتاج إلى الوقت للبقاء في الآن.

أحتاج إلى الوقت للاضراب عن المستقبل.

**

{ لست أدري، لم أحس بأن العشق

يموت مع سفر أبناء جيلي ؟!

لست أدري

لِمَ أحس بأن العشق سيخسر السكْر الموجود في الرسائل

عندما، تتساقط أناملي المدمنة ؟!

ولِماذا يصوغ الثلج خطة الانتحار عندما أموت برداً !.

ما كل هذا اليقين الذي يتقاطر من منقار القبح الملطخ بالدماء ؟!

ما كل هذه التشاؤم من طيران النسر المستمر ؟!

يبدو من كارت بوستال المسافرين:

لم يعد هناك شيء لينكشف

يبدو من حقائب موزعي البريد هؤلاء:

امتلأت الجبهات بالدم

انظر إلى موجات النظرات التي تبشر الشعور بالقتل

انظر إلى الهزة الأرضية لضحكات الغد :

دققْ النظر في المطر

وانظر كيف امتلأت قطراته سُمّاً

واسمع كيف تربصت الزوبعة في جُمل الريح !

وانظر إلى المرآة، كم تخفي عليك انكسارها

ويبدو من خطواتك

نصب لك هذا الطريق

كميناً...

لستُ بعالم الغيب، فما أدري ما هذا الشعور الذي ينتابني:

أنت مهما كبرت أجنحة مستقبلك

ستغفلك مرساة

وسيفتح لك السقوط حضنه.

ولا أدري لِمَ لايطلق هذا الخيال الجهنمي سراحي ؟!

ولماذا يقول لي انفجار: ستصبح ترابًا ؟!

اللهم ارحمني}.

(لقد مضى عليك الوقت، فابد أمن جديد

ستنسى كل شيء في أقرب وقت ممكن)

***

أقول لنفسي:

ابدأ، لقد مر الوقت،

سأنسى كل شيء في أقرب وقت ممكن

فالبدء من جديد

لايستغرق وقتاً طويلاً .

ولكن من أين أبدأ ؟

أيا شهرزاد الصديقة

أبدل بلداً بآخر

أترك شارعاً فأبدله بممشى صغير

ولكنك تقولين: كلا

أحمل مدينة فأخبئها في غرفة

ولكنك تقولين: كلا

أضع الحروف كلها رهناً لمخطوطاتك

ولكنك تقولين: كلا ؟!

أترك الآلهة التي عبدتها حتى الآن،

فآتي إلى تماثيلك

ولكنك تقولين: كلا

أنحت حجراً من الماء، ومرآةً من نظرة

ولكنك تقولين: كلا

أغني أغنية عشق

فيصير صوتي نجمةً

ولكنك تقولين: كلا

بصدر ملئ بالآيات

أتلو جرحي وطفولتي

ولكنك تقولين: كلا

بعين مليئة بالسماء

وإصبع مرفوع للشهادة

آتي إلى محراب وجودنا

ولكنك تقولين: كلا

(.....!

.....؟

.....!؟

كلا !

.....

كلا !

.....

كلا) !

**

أيا فتاة (الصخب والعنف) [٢٧]

أيا كائن (مِئة عام من العزلة) [٢٨].

أنتِ بهذا الحجم الصغير

وهذه الروح الشبيهة بالخَرَز

ماهو جبل الرفض الساكن فيك ؟

أنتِ بحجم رمان،

ولكن عالمك أكثر كثافة من الصنوبر،

كيف تستطعين في آن واحد أن تكوني:

موطناً للأشعار الساذجة واللطيفة والناعمة

ومخبأً لـ(كلا) صلبة

و(كلا) صلدة

و(كلا) غير ممكنة

كيف تستطعين في آن واحد

أن تكوني ملكة مملكة هذه المجموعة من (كلا) ؟!

أنتِ منبع النهر

فعيناك مليئتان بالأسماك

ويسكب الورد من يديك !

كيف تستطعين في وقت واحد

أن تحطمي جسر الوصول

وتصنعي السوار من الصنارة

وتزينين رسالة بابونج الفراق بقلم أصابعك ؟!

**

كنت أعرف أن الأنفال ستأتي،

كنت أعرف أنها سوف لن تفارقني أبداً

وتغفلني يوماً.

في الأوقات التي كنت أُقَبِّلُكِ

كنت أعرف أن الأنفال ترمقني باشمئزاز.

لقد اتضح لي بجلاء:

في الأوقات التي كنت أحتضنك فيها،

كانت الأنفال تنظف أسنانها بيننا !

وفي الأوقات التي كنت أثيرغضبك

كانت الأنفال ترقص طرباً.

كنت أعرف أن الأنفال بين أصابعي وشعرك

بين أحضاني وقامتك

بين جلدي وجسدك

تستريح، تأخذ النفس، تتكلم و تضع البويضات..

كنت أرى الأنفال في سلة الفواكه،

ورغوة الصحون

كانت الأنفال تخرج من ثقوب الصنبور

كنت أرى الأنفال في ثقب مفاتيح الأبواب، وعلى وجه الساعات، وأوراق الورود، ومائدة الكآبة التي كانت تنتابني فجأة.

كنت أرى الأنفال في نظرات النساء العاشقات للبس الذهب والقاتلات للأذواق في المهجر واللائي كن يوجهن إلينا وابلاً من الأسئلة: (يا ابنتي، يا ابني...)، (والله إنه لشيء محزن..)، (أفديك بعيني..)، (متى يأتي ؟)، (لم لا يأتي؟)، (لِمَ لَمْ يأتِ ؟)

وقلن أخيراً: بصوت فيه قليل من الحكمة وعاصفة من القهقهة:

(ألم نقل لن يأتي !) (بالله عليك، ألم نقل..؟)

(هاهاهاهاهاهاهاهاهاها !!!)

**

كانت الأنفال تتصل بي هاتفياً، وتصيح فيَّ،

كانت تصدر لي الأوامر، تهددني، تخجلني..

وأخيراً، كانت تقول لي متغنجةً:

(أيا حَمْلي الوديع ، أنا وأنت... مختلفان،

أنت.. تحب خلوات الشعر

وأنا.. مجنون بمهرجانات الدماء

أنت.. تحب أفلام العشق

وأنا.. أشتاق إلى تراجيديا البسمة.

فمن الصعوبة بمكان

أن يسعنا زورق واحد !..

تعال، يا محبوبي اللطيف،

لأكبّل يديك ورجليك

وأتركك في هذه الصحراء،

لاتحزن: فأنت لا تبقى هنا وحيداً

كن مطمئناً بأن عُقاباً سيأتي ليُقَطِّع كبدك إرباً إرباً

كن مطمئناً بأن خليّة نمل ستأتي لتلتف حول جسدك

كن مطمئناً بأن عظامك ستقهقه وستلمع للأبد تحت لفحة حرّ الشمس .

تعال لأتركك هنا، أيها الحمار)

لاتحزن، ستنسى كل شيء

ستنسى كل شيء دون أن تدرك..)

كنت أعرف أن الأنفال – في يوم ما

تخرج من قِدر طعام لتهاجمني !

كنت أعرف أن الأنفال ستزمجر في وجهي

كنت أعرف انها تتحول من مشرق بسمة إلى مغرب حزن

كنت أعرف أنها ستصير سماً

في وجبة افطار صباحية، وفي فنجان قهوة

..

كنت أعرف أنها في وسادتي وفي صبيحة يوم ما

تضع فوهة مسدس على جبيني مثل قول مأثور!

بدا واضحاً أنها ستخنقني مهموماً في وقت متأخر من الليل.

وتبعثني في الصباح، لتقول لي:

(لا بأس، أفديك بروحي!)

كنت أعرف أن الأنفال في يوم ما

تُقَطِّع طمأنينتي ببطء.

وتكتب لي رسالة بخط الشكستة الفارسية

فتقول على وزن آية مكية:

(.. لقد انتهى .. إنتهي العشق

ستنسى كل شئ في أقرب وقت ممكن).

**

غيَّرتْ الأنفال فهمي للوقت.

فَتَّتنِي الأنفال في المكان.

أزعجتني الأنفال عن نفسي.

شدَّت الأنفال عيني، ثم هشمتني

حرَّضت عليَّ قطعاناً من الكلاب السلوقية

ثم سكبت أعضاء جسدي المقطّعة

أمام أُسود العشيرة الزائفة

كأرنب مفتت الجسد .

صبتني الأنفال، دخنتني مثل السيجارة، اجترتني و فككتني ببطء !

فجرتني الأنفال: فجأة !

بصقتني الأنفال باشمئزاز .

**

وأخيراً، فها أنا.. أستلقي

قبل حلول سنة الألفين

وقبل ذهابك لحفلة وداع هذا القرن

وقبل أن ينتابك الشعور بالذنب

وترى – بأم عينيك– نفسك في مرآة نظرتي

اترك لي برقية أمومية بسرعة:

يا من أفديك بروحي أهنئك برأس السنة الجديدة..

تركت قلبـي عندك فلا تحزن،

(ستنسى كل شيء في أقرب وقت ممكن..)!

استلقي فأنظر إلى نفسي عن بعد:

{أيا شهرزاد، تركتيني أمام محلات بيع الورود في وقت

كنت حائراً من الألوان !

أنا كنت في طريقي إليك

حاملاً باقة من الورود

ولكنك حطّمت مزهريتها

تركتيني في وقت

كنت أبحث بين المحلات عارياً

عن قميصٍ من لون بنطلوني

وعطرٍ أنعم من صوت (فيروز)

كنت أمشي وأتوقف أمام الواجهة البلورية لكل محل

فأدخل وأخرج وأرجع وأنزع نظارتي

لأقرّب بؤبؤي عيني من الأشياء

فهنالك كانت تأتي فتاة تجاهي

وتعرف كم أنا قلق ومرتبك

أريد كل شئ ولا أريد شيئاً .

كانت تعرف كم أنا مفتون، كم أنا كوردي وكم أنا وحيد !

كنت أقول لها: (لو.. يوجد عندكم من ذاك اللون بمقياسي

لو استطعت تقصير تلك السترة

وقلب فتحة ذلك البنطلون

ولو أعطيتيني ذلك الجورب بسعر أرخص..

لو استطعت شراء واحد من ذلك الصابونالذي استحممنا به ذات مرة،

لو استطعت شراء عدد من أغاني الرقص وربطات عنق حريرية مائلة إلى الأزرق ومناديل معطرة،

لو استطعت أن آخذ حفنة من الشوكولاتة وقارورة من النبيذ الأحمر،

وكرزة أو كرزتين وتفاحاً

وعدداً من التين الرطب من النوع الذي يؤكل بالشفتين !

لو.. استطعت..).

كانت الفتاة تحدق فيَّ

وكنت أنا أضع إحدى يديَّ على أحد كتفيها

وأمد يدي الأخرى مشيراً للخارج فأقول لها في حوار ذاتي:

(.. لو استطعت أن آخذ حديقة من أشجار تلك الفواكه إلى المنزل

هديةً مني إليك...

لو استطعت طي شارع ملون لهذه المدينة

فآخذ به إلى المنزل حاملاً إياه تحت إبطي

لو استطعت أن آتي بتلك النافورة وتمثالها وحوضها

والكرسي الذي بجانبها إلى المنزل

هدية مني إليك .

لو استطعت أن أضم البحر

ولا أدع الأسماك الصغيرة تسقط من بين أناملي عندما أحملها إلى المنزل!.

لو استطعت أن ابتلع السماء كلها

وأحطم أبواب الجنة والنار

وأُضَيِّف سحب الغضب وأمطار الرحمة

والملائكة..

لو استطعت.. أن أقول لـ(الإله) : كن معنا في هذه السنة

لتُشعل ومضة في أعيننا بعد هذه القرون المظلمة من حرق الدماء !

لو استطعت...

لو..استطعت...) .

وأخيرًا، تركتني صاحبة المحل

وقد صارت تعرف أنني لست مشترياً

وإنما أنا عاشق ورحالة حساس وأقف أمام سنة الألفين

وأخيرًا، لقد بدا واضحًا أنني مجروح ومهجور هذا القرن في أثناء حملات الأنفال

وبدا واضحًا: أنني كوردي وحيد بالقدر الذي يحبه الله..

**

(أعرف أن جسدي قبل خيالاتي

وخيالاتي قبل أمنياتي، أمنياتي قبل انتظاراتي

وانتظاراتي قبل استمراريتي، تشيخ !

كنت أعرف، لو لم تعثر علي الأنفال

فإنها كانت تكشف نيتي

وتتابع موطأ قدم أمنية من أمنياتي

وتوقع ورقة موتي بيدي).

بعد أن كانت الأنفال تصعدني كل صباح إلى سيارة بيك آب،

وتخطفني إلى ضاحية المدينة

بعد أن كانت تسرقني كل ليلة

وتنزع ملابسي فتنام معي عنوة،

بعد أن كانت تنظف نفسها بفنطازيتي

وتضعني في الرهن

وتقذف بي إلى حضن شارع.

كنت أسمع أن الأنفال كانت تقول متقهقهة:

(لاتتخيل أنك تختفي أمام أنظاري، فأنا في دمك.

لاتتخيل أنني لاأجدك في كثافة الألوان،

فأنا في عينيك .

لاتتخيل أن الطريق الثلجي للهرب سينجيك

فأنا هاوية في طريقك.

لاتنخدع بوعود الظلام السوداء للهروب

فأنا موجود في جيبك

أكتب تقاريري عنك وأسجل خطواتك

بل أنا التقرير والسِّجِلّ في آن واحد

أنا خوف وشعور بالذنب في نفسك) .

وأخيراً، كانت الأنفال ترمي ما تبقى من سيجارها على جسدي المغتصب

وتشغل سيارتها العسكرية بالمفتاح

فتبصق في وجهي، وتضغط على صافرة السيارة مرات عدة

وفجأة تضغط على دواسة البنزين فتنطلق..

وتتركني في دمي المسكوب على الارض والدخان والوحدة!

كانت الأنفال تحلف في منامي قائلةً:

لاتغو نفسك بوعود الآخرة

لا تحلم بأحضان حور العِين

وحليب أنهار الجنة

لاتفرح بالليالي الخمرية

ورحيق اللذة..

فأنا حركات وسكنات الآيات وأنوثة الجنة

وبياض أنهار الحليب المقدس

والإدمان الموجود في الخمور

وعصير الروح القاتلة)

أنا الدنيا والآخرة

أنا الكفر والإيمان

أنا الجحيم والجنة..)

***

كنت أسكت فأقول:

الأنفال

أيتها الأنفال أنت أكبر من الكون

(أيتها الغائبة والحاضرة في كل مكان..

أيتها التي لم تولدي من أحد ولم يولد منك أحد

أيتها الوحيدة الصامدة)!

هل تتصورين:

لا مكان في متاهة هذا الخوف الطويل

لتطير في فضائه فراشات خيالي

ولا تهدده مروحياتك ؟

أيتها الأنفال المجيدة:

لايمكن أن لا يكون هناك مكان فيما وراء ثوانيك

ولا أن تكون لحظة وراء موتك

ولا أن تكون حياة وراء موتك

ولا أن يكون نهوض وراء إقليمك المدمر ؟!

أرجوك، لايمكن..

أن لا تكون لك خلوتك

ولا أن تكون لك غيبتك

ولا أن يكون غروبك مستقراً لي

ولا أن يكون وراء أماكنك المهجورة

..... ؟

**

كم كان هذا السؤال مفاجئاً و ساذجاً ..!

**

كم كان يعيش هذا السؤال في الحلم ..!

كم كان نتيجة للعبادة..!

كنت أشاهد الأنفال تقرأ شكوكي وتتجهم

وكان وجهها يتخثر

وأخيراً كانت الأنفال ترجع إلى داخل نفسها، ويلويها ألم

فتتقيأ وتتحلل وتتجمد في مكانها !

تلك الأنفال الضخمة

كانت تتحوّل إلى البخار رويداً رويداً..

**

كنت أعرف أن الأنفال لا تخاف من التاريخ.

كنت أعرف أنها تسخر من القرآن

ومحاسبة يوم القيامة

والفنطازيا والحلال والحرام

فقد توضح لي أن الأنفال أكبر من أفق خيالاتي

وكنت أعرف أنها لاتستطيع أن تحب شخصا آخر

سوى نفسها.

عرفت في وقت متأخر كم هي خائفة أمام الأسئلة ومرآة الشكوك..

عرفت في وقت متأخر أن الأنفال

لاتتحمل سماع روايات العشق

وسرد ماتبقى من قصتي..

عرفت في وقت متأخر كم أن الأنفال

تخاف من: لغتي وكشكولات الصدر

ومتاهات مدونات سفر حروفي..

أيا شهرزاد: أنا عندما جئت إليك

كنت أبغي الدخول من باب الحكاية،

لكي أُبعَث من جديد،

كان من المفروض أن يضعني العشق في حضنك

ويسلم أمري إلى يديك

كان من المفروض أن أجد لغتي.

يا شهرزاد:

وأنت كنت تعرفين أن مصرع الأنفال في بواطن اللغة

أنت كنت تعرفين أن الأنفال لا تستطيع العثور عليّ في الحكايات..

أنت كنت تعرفين أن زمن نهوضي

استمرارك على سرد حكاياتك

وأنا كنت أعرف أن عدم الوصول إلى مصادر المطر،

غور في الدموع !

يا شهرزاد :

كنت أعرف أنك تتركينني أيضاً

فتعود إليَّ الأنفال مرة أخرى

وأنت كنت تعرفين،

يا شهرزاد الموجودة في دمائي، وانت كنت تعرفين :

ستنبعث الأنفال.

هل لي أن أسأل:

كيف استطعتِ أن تلقيني بهذه السرعة

وأن ترشينني على جدران نهاية هذا القرن ؟

كيف استطعت الإقتراب من الأنفال إلى حد إعادة توقيع (معاهدة سِيفَر)[٢٩] ؟!.

**

أيها الشعر:

ارجعْ شموخ منارات الخوف إلى الجنة

فأنا أدخل من لهيب النيران

اعط مسيرة أبطال الفخر للمدينة مرة أخرى

فأنا أعبر من زقاق دموع أحد الشهداء

لو لم تحوليني إلى قرط

فأنا أسمع صراخ الوحدة

من أذن الصمت .

لفهم نجوى الغصن، لاتفيدني سرعة الريح

فلا بد أن تكون خِلقتي مثل خلقة الجفاف المليئة بالسكون .

كل شعرة بيضاء في رأسي

دليل على قهر حَرِّ إيوان الغربة

كل قطرة من نظرات العين الباردة

فوران التمنيات للانسكاب في بحر حلم

صورة هذا الإخفاق الممزقة، لاتكفي لمراسيم عزاء العمر.

أنا أحمل كاميرا هذه الحياة التي لها ألف عين

لست منزعجاً من هلهلة فيلق اليأس

أشتري وجودي الكوردي بلحمي وعظمي

(أنا أتكلم مع التفاح

والحروف تنبت على صدر الحديد..)

أنا من الآن... أستلقي

قبل سنة الألفين وفي هذه الغرفة

أستلقي أمام اللوحات

أقول للقلم: لقد حان وقت البدء من جديد

أنت ليس لك مستقبل بهذا الوجه المتخثر.

أقول للون: لقد حان موعد القوس والقزح،

أنت بهذه البقع الدموية، ليس لك مستقبل.

أقول للشبابيك:

لقد حان موعد اللمعان،

فلو لم تلمعي لما نظر أحد إلى شرخ انكساركن..

أستلقي وأقظم أصابعي العشرين بأسناني

أسمح لسم الأنفال يتدفق من رأس أناملي

أسمح لزمني (الآن) ليتفرغ من هذا الدخان وهذا العشق وهذا الدم.

يجب أن أبدأ من هنا،

وأخرج من هذه المقبرة

فأنفض عني عظامي المحطمة

وأبحث عن ذكرياتي، وأجد البداية

وأضم الاستمرارية.

فأقول لنفسي:

أمام سيدة الهجوم هذه

لاتستحي من ذكورتك وخشونتك وهيبتك..

(أنت لست جميلا!)

لولا هذه العضلات البارزة والأعصاب الخشنة.

أنت لست جميلاً

لولا هاتان الرِّجلان والساقان الحجريتان

وأعصاب رقبتك البارزة واللحية الكثيفة

وأنفك المشبه بالمِعول .

في هذا الزمن الأمرد

لاتستح من جسدك المغطى بالشعر،

وجنسك وأجدادك المجروحين

رشّ عطر عرق تعبك وعرق جلدك المشبه اللوز

عدّل كتفيك واضحك وارقص

واهجم على الورود التي تغرز شوكاتها في يدك.

اظهر نفسك أمام النساء اللاتي

يكاد يصيبهن الجنون لدفء حضنك

ويعلقن قوس الحروف الباردة في وجهك باشمئزاز

ويندمن عندما تذهب..

لاتستح، فتسلق شباك تلك العربة المليئة بالملكات الوحيدات

ثم اختر التي تحب أن تقوم أنتَ باجتياحها وتحطيمها وتعصيرها بين ذراعيك

ولكنها أخيراً

تأمر الحوذي كي ينهال عليك بالسوط

ويلقي بك إلى الأسفل

ويغرز الرمح في بؤبؤ عينك..

لاتستح أيها الملتحي الجريح والمتجعد الجبين والصدغ والخد.

اذهب إلى أعالي القمم

واضرب صدرك باللكمة وارعد وازأر واصرخ:

يا أكثر الأجناس تهمشاً !

يا فحل الأساطير والكتب !

يا من تتمرغ داخل نفسك !

أنت لست جميلاً

لو لم تخرق سكاكين الوفاء المتثلمة جسدك من الخلف والأمام والداخل

والجهات الأربع،

لو لم تخنقك العهود ومدة الانتظار،

لو لم يغرز خنجر أيام الأكتوبر في قلبك،

لو لم تنزل بك أنفال إلى المقابر الجماعية .

لاتستح من كونك كوردياً

لاتستسلم أمام فيلق كسر الخاطر هذا

فادخل إلى باطن حرف واجعل الحرف عشاً فتغزل بنفسك !.

ربما أرجع إلى الدنيا بهذا الجمال

وأرجع إلى سواحل البحار،

وأمشي في الحدائق الندية مفكراً في قوة الأشجار وعمرها.

وربما أقوم أمام الفراشة تبجيلاً لها

وأشاهد أشكال أخرى للحياة تحت ظلال الثيل القصيرة.

لعلي أصبح سمكاً فأشرب الأعماق

وأرجع إلى داخل الألوان مع حكاية صينية،

لعلي أصبح تياراً وأسرد حكايتي ببطء ليعسوب، لدَعْمُوص، لحجر الساحل..

يجب أن أصبح حوتاً

لأغني الـ(حيران)[٣٠] من السواحل بكامل قوتي.

وأستلقي تحت أشعة الشمس

فأغمز للجبال بعيني ! .

يجب أن أصبح حوتاً

لأملأ نظرتي من النجوم ثم أزرعها تحت البحر !

وأملأ حنجرتي من الصدف الحامل باللؤلؤ

وأترك ضرسي في نخر شجرة

لتصنع منه قرطاً

لتصنع منه مِكحلاً

ولتصنع منه خِرزاً..

أبكي مثل طفل أشيب

وألح على بائع متجول

ليعطيني (تفسير ابن سيرين)

بقيمة شق من أحلام رأسي المشققة !

**

من باب الجحيم إلى مدخل الشعر

أنا مليء بأحلام الصنوبر المستمرة

يبدو من جثث سواحل هذه الهجرة:

هناك يوجد الوصول.

لن أنظر إلى رحابة صدر الرمان من حدود القشر

مادامت هناك أبدية ملونة لحباتها.

لا أبالي ببخل برك المياه

فإنني على خطى سياسة اللقالق

أهبط في هذا المستنقع .

قبل غرقي في نهر هذه الأسئلة،

أمكر كالبط كيلا تبللني المياه.

لو ابتلعني السلطعون لأصبحت لؤلؤاً بين أسنانه.

لو أخفاني الليل، لأصبحت نجماً في حضنه.

و لو غنّى لي غريب أغنية حزن، لأصبحت دعسوقة ؟!

أنا قريب من روح الورد قصير العمر إلى حد

امتلأت بتضرّع النحلة اليائسة..

أنا أعرف أناشيد صدر طائر النعَّار إلى حد

يستنطقني قفص هذه الوحدة.

لكي أستريح قليلاً، يفضل أن أستضل بضلال الكرز الأحمر

ويفضل أن أنتحر تحت قطرات عناقيد الحبة الخضراء

أتذكر مكر اللوز وحِكم شجرة البطم

لكي أستمتع بطرائف الكلام

أستمع إلى سخرية الخنفس

أتعلم تاريخ المياه من حنجرة الخيزران النحيفة.

أعرف، أن السماق غاضب على تغنّجات الكرز الأحمر الصغيرة

أعرف، لو لم تكن رحابة صدر البستان،

لما تحمّلت الأشجار الحامضة وأشجار الكروم العيش معاً..

أفهم، أن أمن المياه وحده

قادر على الجمع بين كلام(كَسكَسكة)[٣١]الخشن

ورائحة أنفاس البنفسج الطيبة

على حافة الساحل.

كم أنا شفاف أمام أسئلة الريح

كم أنا واضح في مرآة النظرة

وكم أنا غير مبال أمام مأساة العقاب وصقيعه.

مازالت أذني مصعوقة بانفجار الأنفال

أسمع صوتي حين أقول:

لأن أنقذ نملة من الفيضانات

يكفي أن تكون لي إرادة بمقدار غصن من أغصان الأشجار

يكفي أن يمتلئ دماغي بالأسرار والوقائع بمقدار كتاب واحد

لتسلمني هذه اليد إلى تلك وينقلني هذا الصدر إلى ذاك.

أخذت الأنفال جزءاً من جسدي وجمالي وعنفوان شبابي

لكنني مازلت محتفظاً بذكرياتي:

الذكريات متعة التفكير في بعضنا

الذكريات هي استماع إلى الأصوات الرطبة للخطوات

الذكريات هي شم عطور بعضنا عن بعد

وسماع الأحاديث في الصمت،

الذكريات هي السخرية من بعضنا في الوحدة

وانكشاف عدد أسنان بعضنا أثناء الضحك .

قد تكون الذكريات الجبهة الأخيرة لأبقى إنسانًا !

روحي أكبر من حدود الثأر،

حياتي أكثر إضاءة من جنان البغض

يسهل أن أصبح قاطع طريق بكل هذه الحكم .

البدء من جديد:

تعلم الطيران بأجنحة اللحظات الممتعة

الذكريات:

رؤية عظمة بعضنا من السماء

البدء من جديد:

إعراب الجمل على وزن الخيال

الذكريات:

تحويل الحرية إلى شعر الهجاء

البدء من جديد:

ترحيل الشعر على جناح النحل

الذكريات:

هي ارتخاء صوت الكلمة إلى أقصى حدود الطنين لتنويم الحزن.

البدء من جديد:

قراءة حروف العشق ببطء في حجرة المستقبل

الذكريات:

هي حركات حروف الربط !

البدء من جديد:

وضع الرأس على مخدة مزينة بالأزهار الملونة

الذكريات:

لحاف ملئ بأحلام شخصين اثنين !

البدء من جديد: هو البوح بكلامين من القلب

والذكريات:

صمت ملئ بمعاني النظرات !

البدء من جديد: إعادة الزمن إلى أصله المجروح

الذكريات:

لفافة نشد بها روحنا الحمراء !

**

أنا.. في الرجع المرعب لصدى هذه الغرفة أوحد من البداية..

الليلة هي الليلة الأخيرة

فستنقطع خطوط الاتصال غداً،

قبل أن يتم إلقاء القبض علي لأعترف بجرائمي البيضاء الملصقة على الجدران

ثم، يعثرون عليَّ في يباب رجع الصدى صامتاً

فيلتقط مصور صوراً لي

وعندما لاتظهر أية بقعة دم، يستغربون فيكتبون تقريراً:

كان مستلقياً على ظهره عارياً مثل أوراق الشجر

وكان قد وضع إحدى يديه كمخدة تحت رأسه

أما يده الأخرى فكانت ممدودة بجانب جسده

مثل جدول ماء راكد .

كان نقياً مثل طفل صغير، وبارداً مثل الثلج.

غير أن الطبيب اندهش عندما وضع أذنه على صدره.

وكان لم يزل جسده مليئاً برجع الصدى،

وكان لم يزل قلبه يخفق مثل حنجرة العصافير

كانت قد نزلت قطرات ندى على جلده فصارت بحيرة صغيرة

كان يرتفع من وجهه ضباب شفاف وبلوري

وأخيراً، كتب الطبيب في ملفه:

(على إثر كارثة غير واضحة ومفاجئة جداً

قبل مجئ القرن الجديد بثانية واحدة،

ستمتلئ روحه بالجروح فتنزل الجروح من عينيه،

وحينئذ قد يبقى منكوباً هنا

فها هو جسده الذي أخذ رائحة البؤس وتتقاطر منه الغربة.

عندما أخذناه، التف بخار جسده حول جدار غرفته على نحو سريع

وفي شكل موجة صوتية صامتة.

ثم، نحتت الحروف صورها على الجدران

وبدت الصور كومضة.

ثم، اشتعلت الحروف وبدأ صمتها يتكلم).

(أيا شهرزاد حدائق الروح !

أيا شهرزاد سجون (كلا)!

أيا شهرزاد المختلطة بالوهم !

وقليل من الشعر

وقليل من الآيات القرآنية.

أيا شهرزاد المختلطة بالعقل ومثقال من الشك وعالم من الخرافات !

أيا شهرزاد السفر والكرامات والوحدانيات !

لاتنسي: أنا عثرت على مهدك

عندما جرّفته المياه.

أنا الذي حطم بيديه أغلال جسدك

والرزّات التي لم تكن تسمح لك بالطيران..

وأنا أخرجتك من حنجرة ذلك التنين

الذي كان يبتلع طفولتك طول السنين

في أكثر زوايا أنوثتك ظلمة

انتعشت في يدي رجلاك اللتان جمدهما جليد الأسفار.

تفتحت براعم آلامك في صدري فصارت شعراً

بنيت من صوتي عشاً

ومن خيالاتي ألواناً

سهرت من أجل أنفاسك

وشربت دموعك.

أصبحت أصابعي جداول نقلت المياه إلى أقفر صحارى روحك

لا أجد للمستقل ماعدا يدي،

لا أجد سوى حروفي للبقاء،

ماهو هذا الخيال الذي يقول لي:

(في صبيحة يوم من الأيام

من السهولة بمكان أن نقول للبدء من جديد:

ها أين كنت..؟ لقد انتهت الأنفال!

لقد كنا بانتظارك منذ زمن طويل

فنحن بأنفسنا قد بدأنا من جديد !)

كلا، يا شهرزاد:

كم كانت نهاية هذه الحكاية مفاجئة،

أية أنفال جئتني بها يا أكتوبر هذا القرن !

رغم أن العشق تركني في أثناء الطيران

فأنني لا أشوه هذه اللوحة التي أرسمها للمستقبل

ولن أمحو هذا الوجع في تجاربي

سأبدأ داخل نفسي بالهجرة إلى الحزن من جديد

لاشيء للموت سوى نفسي

لاشيء للبقاء سوى نفسي.

(مدينة غودوغة: نوفمبر ١٩٩٩، الدانمارك)

الهوامش:

(١) **رِيْبوار سِيْوَيْلي**، اسمه الثلاثي (ريبوار حَمة أمين حسن)، وهو كاتب وشاعر كوردي بارز، ولد عام (١٩٦٩) في قرية (باريي بجوك: أي باري الصغير) في منطقة (شهربازار) التابعة لمحافظة السليمانية، درس الفلسفة في جامعة (الغوسكيلدة) الدانماركية. عاش شطراً من حياته في المهجر في(إيران والدانمارك) ثم عاد إلى موطنه كوردستان، حيث عين مدرساً بقسم اللغة الفارسية في كلية الآداب بجامعة صلاح الدين/ أربيل، ثم انتقل إلى قسم علم الاجتماع وبعد مضي سنوات على تدريسه بقسم الاجتماع أسس قسم الفلسفة في كلية الآداب التابعة للجامعة نفسها كما درَّس في جامعتي (السليمانية) و(رابَرين).

نال لقب (الأستاذ المساعد) في جامعة صلاح الدين عام (٢٠١١). وهو من جماعة رَهَند (البعد) الذين فرضت نتاجاتهم الثقافية – ولا سيما مجلتهم التي حملت اسم جماعتهم – تأثيرات عميقة في الساحة الثقافية والسياسية والاجتماعية والفكرية في كوردستان، غير أن سيويلي أعلن انشقاقه عن الرهنديين فيما بعد، وبيّن أسباب ذلك في كتابه الصادر بالكوردية (الرهنديون للجيل الجديد).

نشر ريبوار سيويلي – لحد الآن– باللغة الكوردية ما يربو (٣٠) كتاباً تأليفاً وترجمةً في مجال الفلسفة والشعر والنقد الأدبي و الحياة اليومية، وله دراسات أكاديمية عدة عن كل من (هيراقليطس، أوغستين القديس وديكارت) وغيرهم. ولكن ذاع صيته أكثر من خلال مؤلفاته (عالم الأشياء الصغيرة، من العلاقة إلى الحب، فنطازيا الأكل، القومية و الحكاية، الكتابة والمسؤولية، بيير بورديو و علم الاجتماع الفلسفي, الخوف من الفلسفة، فلسفة ماقبل سقراط، السوفسطائيون دفاعا عن فلسفة الأقلية، الفلسفة والضحك و كتاب نالي).

يتميز نمط التفكير الفلسفي لسيويلي بالمزج بين التنظير الفلسفي والواقع المعاش، اضافة إلى اهتمامه البالغ بالتعبير والكتابة عن الأشياء الصغيرة من منظور فلسفي. ترجم بعض أعماله إلى العربية والفارسية والانكليزية والفرنسية. وهو يعيش حالياً في مدينة أربيل، ويعمل في (الأكاديميا الكوردية) ويدير مؤسسة (زرياب) للطباعة والنشاط الثقافي والتراثي.

(٢) **الأنفال**، كلمة مقتبسة من القرآن، استغلتها الحكومة العراقية في عهد نظام (صدام حسين) لإبادة الشعب الكوردستاني إبادة جماعية في مقابر جماعية، وإفراغ قرى ومناطق كوردستانية من سكانها وإحراقها. نفذت حملات الأنفال بسلسلة من العمليات العسكرية في ثمان مراحل متتالية ومتقاربة امتدت منذ عام ١٩٨٧ إلى ١٩٨٨/٩/٦، وقد راح (١٨٢) الف مواطن كوردستاني ضحية لتلك العمليات التدميرية، التي استخدم فيها النظام العراقي الأسلحة الفتاكة مثل السلاح الكيمياوي، كما استخدم فيها الأسلحة الثقيلة والتقليدية. وفي أثناء تلك العمليات أقتيدت عشرات آلاف الأشخاص إلى أماكن مجهولة، وقد اتضح فيما بعد أنهم دفنوا أحياء في مقابر جماعية بمناطق متفرقة من العراق. ومنذ اسقاط النظام السابق سنة ٢٠٠٣تم العثور على رفات آلاف الأشخاص . ومن جانبه وظف الشاعر سِيْوَيْلي الأنفال رمزاً في قصيدته واتخذها ذريعة للتعبير عن ذاته، وموقفه ضد قتل الإنسان، والطبيعة ومافيها من الكائنات. للمزيد عن الأنفال يرجى مراجعة : عمليات الأنفال في ضوء مقاصد الشريعة والاتفاقيات والمواثيق الدولية، ضمن كتاب: المؤتمر الدولي حول

الإبادة الجماعية ضد الشعب الكوردي ٥١-٥٢. وينظر: قرار محكمة الأنفال وثيقة قانونية – سياسية – تأريخية، ص١٥، إشراف وإعداد الحقوقي بهزاد علي آدم، تقديم: القاضي محمد العريبي، محافظة دهوك بالتعاون مع المديرية العامة لشؤون الشهداء والأنفال، كوردستان ٢٠١٤.

(٣) **ميرلوبونتي** (Merleau-Ponty)، فيلسوف فرنسي، ولد عام ١٩٠٨، تتميز تحليلاته بالدقة والضبط وخير دليل على ذلك كتابه (ظاهراتية الإدراك) الذي يعتبر بمثابة قراءة جديدة للظاهراتية الهوسرلية، إذعالج فيه قضايا متنوعة مثل الجسم واللغة والكوجيتو والحرية وغيرها. تتأسس ظاهراتية ميرلوبونتي على ضرورة العودة إلى الخبرة الإدراكية عن طريق الارتباط بين الإدراك والواقع المعيش وكذلك تنهض ظاهراتية الإدراك أساساً على العلاقة القائمة بين الوعي والعالم، ولا تتأسس هذه العلاقة إلا بعد مرورها بفكرة الجسم. توفي ميرلوبونتي عام ١٩٦١ بفرنسا وترك وراءه ميراثاً فلسفياً مهماً في مجال الفلسفة الظاهراتية. المصدر: فينومينولوجيا اللغة عند ميرلوبونتي ٩-١٢، ٣٩. مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة، إعداد الطالب: بن سباع محمد، تحت إشراف: أ. د. عبدالرحمن بوقاف، السنة ٢٠٠٣-٢٠٠٤، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة.

(٤) (مَلاً) بالكوردية أو (ألمُلَّا) بالعربية لقب يطلق على شيوخ أو رجال الدين الإسلامي في كوردستان.

(٥) اقتبس الشاعر هذا الكلام من قصيدة (أنا فداء لتراب طريقك) للشاعر الكلاسيكي الكوردي الكبير (نالي)، التي يتحدث فيها الشاعر عن سقوط أمارة (بابان) بيد الأتراك العثمانيين، والتي كانت آخر أمارة كوردية بنت مدينة السليمانية واتخذتها عاصمة لها، ودام حكمها ما بين سنتي (١٦٤٩- ١٨٥١م) .

(٦) **هيوا قادر**: شاعر وكاتب كوردي .

(٧) **آرام بن كاكَي فلاح**: روائي كوردي.

(٨) **هَندرين**: شاعر وكاتب كوردي.

(٩) **كاروان كاكة سور**: روائي كوردي بارز يقيم حاليا في الدانمارك.

(١٠) **ترخِينة**: أكلة كوردية تراثية. وهي نباتية لها شكل كروي ما قبل الطبخ.

(١١) **هَردي**: هو الشاعر والمناضل الكوردي المعروف (أحمد هردي) الذي ولد عام (١٩٢٢) في مدينة السليمانية. ويعدمن الشعراء المجددين في الأدب الكوردي، إذ يمتاز شعره بالأصالة والرومانسية.تعرض هردي في حياته للاعتقال والفصل عن وظيفته مرات عدة، وذلك بسبب نضاله والتحاقه بالثورة الكوردية، فتوجه إلى لندن وعاش فيها لاجئاً سياسياً منذ العام ١٩٩١ م إلى أن وافته المنية صباح يوم الأحد الموافق لـ(٢٩/ ١٠/ ٢٠٠٦) في مدينة السليمانية.

(١٢) **ميتي**: اسم فتاة ألمانية.

(١٣) **نيشا**: اسم فتاة باكستانية.

(١٤) **ريبين**: كاتب كوردي منتم إلى جماعة رَهَنْد (البعد)، وهو ابن الشاعر الرومانتيكي الكوردي (أحمد هردي). ويعيش حاليا في مدينة السليمانية.

(١٥) كل من (**آريان، بروين، تارا وسروة**) أسماء أشخاص قريبين من الشاعر.

(١٦) **شَمال عمر**: فنان مسرحي كوردي معروف من جيل الثمانينات، ويقيم الآن في السويسرا.

(١٧) ريبوار سعيد : فنان تشكيلي كوردي مشهور.

(١٨) كل من (**عزيز، آراسة رَش، ساكا ونوروز**)أسماء أشخاص.

(١٩) **سَهولَكَة**:يقصد به شارع (سالم) الواقع داخل مركز مدينة السليمانية. وتعني (الشارع الجليدي).

(٢٠) **شيرو**:إسم مصغر للروائي الكوردي المعروف (شيرزاد حسن).

(٢١) **مَرْيوان وريا قانع**: كاتب كوردي من جماعة الرهنديين، يقيم الآن في هولندا.

(٢٢) **عبدالحليم**: هو المغني المصري الشهير (عبدالحليم حافظ).

(٢٣) **خُولة جَخْماخ**:شخصية سينمائية كوردية لها جذور في التاريخ الكوردي المعاصر .

(٢٤) **مَحوي**: شاعر كلاسيكي كوردي عظيم، وهو من كبار شعراء التصوف، ولد في قرية (بالخ) التابعة لمدينة السليمانية عام (١٨٣١م) وتوفي في داخل مدينة السليمانية (١٩٠٦م)، تشبه أشعاره بأشعار (ابن عربي، منصور الحلاج، ابن الفارض) في الأدب العربي، وبأشعار (حافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي) في الأدب الفارسى، فلهذا تتميز أشعاره بالبلاغة ووجود طابع عرفاني.

(٢٥) **جَبي، سيبايي وشيخاني**:كلها أسماء رقصات كوردية.

(٢٦) **صَنْدوق جيازي وجَمَداني**: صندوق جيازي: هو الصندوق الذي يتم ارساله من منزل العروس القديم إلى منزلها الجديد. أما صندوق **چەمەدانى: فهو** صندوق أو حقيبة مصنوعة من القماش تحتفظ فيها العروس ملابس السفر .

(٢٧) **الصخب والعنف**: رواية شهيرة للروائي الأمريكي (ويليام فوكنر).

(٢٨) **مئة عام من العزلة**: اسم إحدى روايات الروائي الكولمبي (كابريل كارسيا ماركيز).

(٢٩) **معاهدة سيفر**:هي المعاهدة التاريخية التي وقعت عليها الامبراطورية العثمانية وقوات الحلفاء سنة ١٩٢٠، فعلى أساسها تم تقسيم كوردستان إلى أربعة أجزاء.

(٣٠) **حَيْران**: اسم موَّال أو مقام كوردي منتشر في مناطق مدينتي (أربيل ومهاباد) الكورديتين.

(٣١) **كَسْكَسْكة**:نبات ينبت على شاطئ الأنهار والجداول ويبلغ طوله ما يقرب مترا واحدا، لم أجد كلمة عربية مناسبة لكسكسكة في اللغة العربية، لذلك فضلت توضيحها هنا.

المترجم في سطور:

- ولد سنة ١٩٨٣، وهو من أهالي منطقة (تاوكَوز) التابعة لمحافظة (حلبجة).
- أكمل الدراسة الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في قضاء (شهرزور).
- درس البكالوريوس في قسم اللغة العربية بكلية اللغات/ جامعة صلاح الدين. ونال شهادة الماجستير في الأدب المقارن سنة ٢٠١٢، ثم بدأ بالتدرس الجامعي في الأقسام العلمية. وتم قبوله لإكمال دراسة الدكتوراه سنة ٢٠١٥.
- بالتزامن مع دراسته في المدارس والجامعة، درس العلوم الدينية على أيدي شيوخ الدين في منطقة شهرزور وهورامان ومدينة أربيل لمدة ٧ سنوات، ثم ترك مواصلة دراسته الدينية لأسباب فكرية.
- نظراً لخلفيته الدراسية يهتم بالقراءة والكتابة في مجالي النقد الأدبي والديني، ويقرأ باللغة الكوردية والعربية والفارسية والانكليزية، ويكتب بالعربية والكوردية.
- يعمل في مجال الإعلام منذ العام ٢٠٠٣ عمل في مؤسسات إعلامية عدة مراسلاً وكاتباً ومترجماً ومقدماً للبرنامج ومديراً وسكرتيراً للتحرير. ويعمل حالياً في شبكة إعلام (حركة التغيير الكوردية)، كما يعمل عضواًلمجلس منظمة (دابران – القطيعة) وعضواً لهيئة تحرير مجلة تحمل اسم المنظمة، وتهتم بنشر ثقافة الديمقراطية ونقد الخطاب الديني المتطرف.
- نشر له كتاب آخر باللغة العربية تحت عنوان: (بنية المكان في روايتي الجحيم المقدس وهيلانة –دراسة مقارنة) وله مخطوطات كتب أخرى .

The language of Love and the Time of Anfal